قراءة في خطاب أمين عام حزب الله اللبناني بمناسبة الذكرى السنوية لتحرير الجنوب

06-6-2005

الرسالة أيضا موجّهة إلى الأمريكيين، فقد يكون الوقت ملائما لتحسين الشروط التفاوضية التي يجريها الحزب مع أمريكا مؤخرا، وبالتأكيد فإن الأجندة الإيرانية لن تكون بعيدة عن الموضوع خاصّة أن مكمن الخوف الأمريكي هو استخدام إيران للحزب "وهو شيء طبيعي لأنّ الحزب انشأ بتمويل وتدريب واحتضان إيراني بالدرجة الأولى وسوري بالدرجة الثانية"، إذا ما تمّ الضغط عليها بشأن البرنامج النووي أو التصعيد ضدّها

بقلم **علي حسين باكير**

مواد ذات علاقة

حزب الله.. استحقاقات السياسة والايدولوجيا

منذ عدة أيام وفي الذكرى الخامسة للانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان (25 أيار من العام 2) ألقى أمين عام حزب الله حسن نصر الله خطابا في مهرجان بهذه المناسبة، عده البعض الأعنف على الإطلاق، فيما أشار البعض إلى أن حدّة الخطاب جاءت نتيجة المأزق العميق الذي يعيشه حزب الله إثر التحولات الراهنة التي تعصف بلبنان والمنطقة.

فما دلالات هذا الخطاب؟ ولماذا تم طرحه الآن؟ ولمن هو موجه؟

* بعض ما جاء في الخطاب:

نصر الله يقول: "لا يطرح علينا أحد طروحات سخيفة تعطل فاعلية المقاومة، وكأن المشكلة أن لدينا مدفعاً نريد الحفاظ عليه مادياً ونستحي من ذلك. هناك تسوية تطرح علينا تقول أن يجمع سلاح المقاومة ويوضع في المخازن، وإذا تعرّض لبنان لعدوان، نفتح المخازن ونحضر السلاح وندافع عن البلد. هذا استغباء للناس، فأهمية المقاومة ليس في أنها تملك سلاحاً في مخازنها، بل أهمية المقاومة أنها جاهزة بسلاحها ومدافعها وصواريخها.

الفكرة الثانية التي طرحت علينا أيضا كانت أن نحتفظ بالسلاح الفردي والمتوسط، أي كلاشنيكوف وأم 16 ومتفجرات، لكن المدافع البعيدة المدى والصواريخ غير مقبولة. تسلمون السلاح الثقيل وتتركون السلاح الخفيف. هذا الاقتراح الذي اقترحه أحد السفراء الأجانب فضيحة لأنه يعني أإنهم لا يريدون حل الميليشيات بل حفظ أمن إسرائيل. فليبق سلاح الميليشيا معكم، أما السلاح المقاوم الذي يضع إسرائيل في حالة رعب فيجب نزعه.

أقول للمشككين: في الحد الأدنى كل شمال فلسطين المحتلة، بمستوطناتها ومطاراتها وموانئها وحقولها ومصانعها ومزارعها، هي تحت أقدام وأيدي أبنائكم في المقاومة الإسلامية. هم يريدون أن يأخذوا من لبنان هذه القوة، وقوة هذه الصواريخ ليست في عددها، وهم يتكلمون عن 12

ألف صاروخ، لكن بالإذن من الإخوة في القيادة وأنا أعرف أنهم سيحاسبونني في ما بعد، لدينا أكثر من 12 ألف صاروخ.

وقيمة وقوة هذه الصواريخ عندما تكون في أيدينا، أن الصهاينة لا يعرفون عددها ولا مكان وجودها، وهم يقاتلون قوة مخبأة قد تفاجئهم في يوم من الأيام بهذا العدد الضخم من الصواريخ. لكن هذه الصواريخ مخبأة لأهداف دفاعية. وتابع: نحن لا نريد جرّ المنطقة إلى حرب وليست سياستنا إحداث حرب إقليمية. نحن نريد أن نحمي بلدنا لا أن ندمره ولأجل ذلك سنحتفظ بسلاحنا. وأضاف: في معالجة هذا الملف قلت نحن جاهزون لأي نقاش داخلي وأي معالجات تحفظ فاعلية المقاومة وقدرتها على الردع، وتفصيله يترك للنقاش. هناك كلام عن نزع سلاح المقاومة، ما أريد أن أقوله إن أي تفكير بنزع سلاح المقاومة هو جنون. نحن في لبنان أحرص الناس على السلم والاستقرار والوحدة الوطنية ولم نعتد على أحد ولكن لو فكر أحد أن ينزع سلاح المقاومة سنقاتله قتال الكربلائيين الاستشهاديين، لأننا نعرف أن أي خطوة من هذا النوع هي عمل إسرائيلي ومصلحة إسرائيلية وسنعتبر أن أي يد تمتد إلى سلاحنا يد إسرائيلية سنقطعها، لكن، بمعزل عن هذه الأدبيات، أن نأتي في لبنان ونقول هذا شأن لبناني وتعالوا لنناقش ونبحث، نحن منفتحون على هذا إلى أبعد حدود، في دائرة المصلحة اللبنانية".

* في دلالات الخطاب ولمن هو موجه ولماذا في هذا التوقيت:

لم يأت هذا الخطاب للسيد حسن نصر الله خارج الإطار المعتاد من حيث التجييش واللغة الثورية التي اعتمدها في خطاباته السابقة، وقد كان أكثر ديماغوجية هذه المرة لأن الحدث جاء في إطار انتخابي وقبل 1 أيام من الانتخابات التي ستجري في دوائر الجنوب، وهو ما يشير إلى أن الخطاب كان موجها إلى الداخل بالدرجة الأولى وإن احتوى مضامين وإشارات واضحة للخارج ومتضاربة في بعض الأحيان.

الأرجح أن هذا الخطاب جاء نتيجة لاستشعار الحرج المتأتي عن موقف حزب الله الذي فرضه عليه القرار 1559، وإن أكد الحزب من خلال هذا المهرجان تحالفه الانتخابي مع حركة أمل وتيار الحريري، إلا أن المعطيات تشير إلى أن الحزب خائف من كمين داخلي ينصب له مباشرة بعد الانتهاء من تشكيل البرلمان الجديد، خاصة أن الزوبعة الأمريكية والداخلية لناحية نزع سلاحه قد خفتت كثيرا مما قد يوحي أن الأمر قد تمّ تأجيله إلى حين تغيير المعادلة التشريعية البرلمانية التي ستغير وجه لبنان، وهو لذلك يحرص على أن يقوم أتباعه بالتصويت الكثيف له بتكليف شرعي على طريقة السيستاني وخامنئي، وعبر الخطاب الحماسي الذي ألقاه للحصول على أكبر قدر من الأصوات، بما يخوله مقارعة الخارج والداخل معا تحت غطاء أن له قاعدة شعبية واسعة، هذا ما أراده الحزب في جزء من هذا الخطاب.

فيما كشف جزء آخر وللمرّة الأولى عدد الصواريخ التي يمتلكها حزب الله، وإن جاء في إطار التهديد والوعيد والويل والثبور لإسرائيل حين أشار إلى أن شمال فلسطين كلّها تقع تحت مرمى صواريخه، إلا أنه استدرك لاحقا بالقول إن الصواريخ دفاعيّة، وهذا ما يشير إلى أن المسألة دعائية، وهو ما دأب حزب الله على فعله منذ أن غيّر الانسحاب الإسرائيلي من وظائفه ولجمته الاتفاقيات التي وقعها معها، ومنها "اتّفاقية نيسان" التي حرّمت شمال إسرائيل على قذائف وصواريخ حزب الله، لدرجة أن اتهمه البعض إثر تحول موقفه منذ الانسحاب الإسرائيلي بأنّه حامي لحدود إسرائيل ومدافع عنها، وهذا ما جاء على لسان الأمين العام الأول لحزب الله الشيخ

الطفيلي الذي قال: "لو كان أناس غير حزب الله على الحدود، لما توقفوا عن قتال إسرائيل مطلقا، والآن إذا أرادوا الذهاب يعتقلهم الحزب ويسلمهم إلى الأمن اللبناني، وتقولون لي إنه لا يدافع عن حدود إسرائيل!!".

الرسالة أيضا موجّهة إلى الأمريكيين، فقد يكون الوقت ملائما لتحسين الشروط التفاوضية التي يجريها الحزب مع أمريكا مؤخرا، وبالتأكيد فإن الأجندة الإيرانية لن تكون بعيدة عن الموضوع خاصّة أن مكمن الخوف الأمريكي هو استخدام إيران للحزب "وهو شيء طبيعي لأنّ الحزب انشأ بتمويل وتدريب واحتضان إيراني بالدرجة الأولى وسوري بالدرجة الثانية"، إذا ما تمّ الضغط عليها بشأن البرنامج النووي أو التصعيد ضدّها على أساس أنّ الحزب يمتلك بحسب بعض التقارير عشرات من الصواريخ من طراز الفجر 5 و 6 والتي يبلغ مداها 75 كيلومتراً و 125 كيلومتراً على التوالي، مما يجعلها تصل إلى جميع مناطق شمال إسرائيل. وفي منتصف عام 24، أشارت تقارير في إسرائيل إلى أن إيران زودت حزب الله بصواريخ أكثر تطوراً من طراز الفجر التي يبلغ مداها 5 كيلومتراً، ويستطيع بالتالي الوصول إلى ضواحي تل أبيب.

لكن في المقابل فإنّ إسرائيل وأمريكا تعلم أن الحزب لا يملك ضمن المعادلة الحالية سوى الكلام والثرثرة وبعض الأعمال الدعائية، خاصة أن الحزب اعترف في الآونة الأخيرة، وفي هذا الخطاب تحديدا، أن لا شأن له في القضية الفلسطينية أو خارج حدود لبنان وأن أهدافه دفاعيّة.

وقد يكون حزب الله قد نجح في خطابه هذا في استعادة زمام المبادرة على صعيد تحديد الموقف من سلاحه، خاصّة عندما هدّد بقطع اليد التي ستمتد إليه لنزع سلاحه في إشارة إلى أي قوّة داخلية قد تفكر في أن تقوم بذلك، ولكنّ الكشف عن صواريخه بهذه الطريقة قد يعطي بعض الجهات الدولية مبررا إضافيا وقوة دافعة لنزع أسلحته ووضعه على لائحة الإرهاب الدولية، وإن كنّا نرى أن لا إشكالية في تحول هذا الحزب إلى حزب سياسي بامتياز إذا ما وقعت صفقة أمريكية-إيرانية بهذا الخصوص، ولنا في الأحزاب الشيعية في العراق، والتي كانت إلى الأمس القريب تدعو بالموت لأمريكا أكبر مثال، إذ أصبحت اليوم تدعو لها بالخير والبركة والدوام!!